55 - السيدة الشيماء بنت الحارث

أخت الحبيب المصطفى ﷺ

اسمها الشيماء، والدها الحارث السعدي، والدتها حليمة السعدية، أخوها من الرضاع سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

كان من عادة نساء قريش أن يرسلن أولادهن بعد ولادتهن إلى البادية خلال فترة الرضاع التماساً لنشاط جسمه وصحته، وابتغاء تعلُّم الفصاحة من جرَّاء عيشه بين أهل البادية.

ولما ولدت آمنة بنت وهب طفلها الذي توفي والده عبد الله قبل أن تكتحل عينه بمرآه، وجاءت المراضع من بني سعد يبحثن عن الرضَّع فأبين أخذه لأنه يتيم، وهنَّ يطمعن في طفل له أب ليجود عليهنَّ من خيره، ويُغدق عليهنَّ من فضله، إلاَّ أن حليمة السعدية رضيت بأخذ محمد اليتيم، وفاض الخير في ديارها من بركته، وكانت حليمة المرضع، وابنتها الشيماء الحاضنة، وكانت الشيماء تقول، وهي ترقِّصه:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ أَخِي مُحَمَّدا حَتَّى أَرَاهُ يَافِعاً وَأَمْرَدَا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّداً مُسَوَّدا وَاكْبُتْ أَعادِيْهِ مَعَاً وَالحُسَّدَا
وَأَعْطِهِ عِزّاً يَدُومُ أَبَدَا

وتقول في مقام آخر:

هَذَا أَخٌ لِي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي
فَأَنْمِهِ اللَّهُمَّ فِيْمَا تُنْمِي

لقد منحت الشيماء لأخيها القرشي جُلَّ وقتها، وأولته كُلَّ اهتمامها،

وخرجت به ذات يوم حارٌ، فقلقت حليمة عليه، وخرجت لتعيده، وفوجئت بقول ابنتها حين أَنبتها على خروجها به في الحر: لا تخافي يا أماه، فإن غمامة كانت تظلُّه، تقف إذا وقف وتسير معه حيث سار.

ولما انتهت فترة الرضاع عادت به حليمة إلى أمه آمنة، وتوالت على الطفل اليتيم الأحداث الأليمة، فماتت أمه، ثم جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب؛ وفي الخامسة والعشرين من عمره تزوَّج السيدة خَدِيْجَةَ، وفي سن الأربعين بُعِثَ برسالة الإسلام، فقام بها خير قيام.

الوفاء من شيم الكرام

ودارت الأيام، وانتصر المسلمون على هوازن، فكانت الشيماء في سبيهم، ولما قدموا بها على النبي ﷺ، وكان قد مضى على فراقه لها أكثر من خمسين عاماً عرَّفته بنفسها، فرحَّب بها، وسألها إن أحبَّت أن تبقى عنده أو ترجع إلى قومها، فاختارت الرجوع وأسلمت بين يديه، فردَّها إلى قومها بأحسن حالٍ.

وجاء عمه من الرضاع يذكِّره برضاعته وحضانته وإقامته بينهم وسأله ردَّ المال والسبي، روى النسائي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عمرو بن شُعَيْبٍ، عَن أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَال: كُنَّا عِنْدَ رسُول الله ﷺ إِذْ أَتَتْهُ وَفْدُ هَوازِنَ فَقَالُوا: يا مُحَمَّدُ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشيرةٌ وَقَدْ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْبَلاءِ مَا لا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ الله عَلَيْكَ، فَقَالَ: **«اخْتَارُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَوْ مِنْ نِسائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ»** فقالوا: قَدْ خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَمْوالِنَا، بَلْ نَخْتَارُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَّا ما كَانَ لي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب فَهُوَ لَكُمْ، فَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَعِينُ بِرَسُولِ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ الْمُسْلِمِينَ - في نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا»**.

فَلَمَّا صَلَّوْا الظُّهْرَ قَامُوا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَما كَانَ لي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ»**، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُهَاجِرُونَ ذَلِكَ قَالُوا: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ

لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمَّا سَمِعَتِ الأَنْصَارُ ذَلِكَ قَالَتْ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

لقد كان ذلك المشهد يومذاك أعظم مَثَلٍ لمن يحفظ الجميل، ومن يحفظه مثْلَ ذي الخُلُق العظيم؟!!.

رحم الله الشيماء، وأحسن إليها.

(1) رواه: النسائي/كتاب: الهبة/باب: هبة المشاع/برقم: (3628).

obeikandl.com